المحاضرة الثالثة عشر : فلسفة اللغة في عصر النهضة: المدرسة التجريبية (فرنسيس بيكون، جون لوك)، المدرسة الديكارتية (ديكارت ، لايبنتز).

شهد عصر النهضة تحولًا جذريًا في فلسفة اللغة، إذ انتقل النقاش من التركيز على الميتافيزيقا والكليات كما في العصور الوسطى، إلى دراسة اللغة من منظور التجربة والمعرفة العقلية، مع الاهتمام بدور اللغة في التعبير عن الفكر العلمي والمنطقي. ويمكن تقسيم تطور فلسفة اللغة في هذا العصر إلى مدرستين أساسيتين: المدرسة التجريبية والمدرسة الديكارتية.

أولاً: المدرسة التجريبية

ركزت المدرسة التجريبية على اللغة بوصفها أداة للتعبير عن التجربة الحسية والمعرفة العملية، وأعطت أهمية كبرى للتجربة والخبرة في تكوين المفاهيم والمعنى. من أبرز فلاسفة هذه المدرسة:

1.فرانسيس بيكون 1561 – 1626

بيكون اعتبر أن اللغة مرتبطة بالمعرفة العلمية والتجريبية، وأن الكلمات يجب أن تعكس التجربة والحقائق الواقعية. رأى أن كثيرًا من المشاكل الفلسفية تنشأ عن إساءة استعمال اللغة أو الغموض في المصطلحات.

اقترح تنظيم اللغة والمصطلحات بشكل منهجي لتخدم العلم والتجربة، واعتبر أن اللغة يجب أن تكون أداة لتوضيح الحقائق الطبيعية بدقة. مثال عملي: استخدام مصطلحات دقيقة في وصف الظواهر الطبيعية، مثل "الجاذبية" أو "الحرارة"، يساعد على نقل المعرفة العلمية بدقة بين الباحثين.

2. جون لوك

يرى جون لوك أن اللغة أداة اجتماعية نفعية، تتكون من كلمات اعتباطية تعمل كعلامات للأفكار الذهنية (لا الأشياء نفسها)، هدفها نقل الأفكار بين البشر وتسهيل التواصل. اللغة عنده ليست فطرية بل مكتسبة، وتكمن خطورتها في احتمالية الغموض وسوء الفهم، مما يتطلب دقة لفظية لضمان تعبير الكلمات عن الأفكار الحقيقية. أبرز ملامح طبيعة اللغة عند جون لوك:

أداة للتواصل: يرى لوك أن الغرض الأساسي من اللغة هو أن تكون علامة مرئية أو مسموعة للأفكار، تمكن البشر من نقل أفكارهم الخاصة إلى الآخرين.

علامات للأفكار لا الأشياء: الكلمات لا تشير مباشرة إلى الأشياء الخارجية، بل إلى "الأفكار" الموجودة في عقل المتحدث.

اعتباطية اللغة: العلاقة بين الكلمة (العلامة) والفكره (المعنى) هي علاقة وضعية واصطلاحية (اعتباطية) وليست طبيعية.

أهمية الوضوح: نظرًا لأن الكلمات قد تكون غامضة، أكد لوك على ضرورة الوضوح اللفظي لتجنب سوء الفهم.

الارتباط بالتجربة: بما أن الأفكار تُستمد من التجربة والحواس، فإن اللغة تعكس هذه الأفكار المكتسبة .

باختصار، اللغة عند لوك هي نظام من العلامات الاصطلاحية التي يضعها الإنسان للتعبير عن أفكاره، وهي أداة ضرورية للمعرفة والتواصل الاجتماعي. (فرج، 2017)

ثانياً: المدرسة الديكارتية

في المقابل، ركزت المدرسة الديكارتية على اللغة بوصفها أداة للعقل والمنطق، مع الاهتمام بالعلاقة بين الفكر والكلمة واليقين المعرفي. ومن أبرز فلاسفتها:

1.رينيه ديكارت

اللغة عند ديكارت ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أداة الفكر نفسها. فالإنسان يتفوق على الحيوان ليس بقدرته على إصدار أصوات أو إشارات، بل بقدرته على توظيف الكلام بطريقة ذكية ومبدعة، بحيث تتحول الأصوات المنطوقة إلى انعكاس حي للأفكار، تصبح اللغة عند ديكارت وسيلة لاستثمار الفكر في العالم الواقعي، أداة لإعادة تشكيل الواقع عبر التعبير الواعي. ويمكن تلخيص أبرز نقاط فلسفة اللغة عند ديكارت فيما يلي:

اللغة خاصية إنسانية بامتياز: اللغة هي العلامة الفارقة الوحيدة التي تميز الإنسان عن الحيوان، حيث يستخدم الإنسان اللغة (مكتوبة، منطوقة، أو حركية) للتعبير عن أغراضه وأفكاره.

الفرق بين الإنسان والحيوان/الآلة: الحيوانات (أو الببغاوات التي تقلد الكلام) لا تمتلك لغة حقيقية، بل هي مجرد "آلات" تحاكي الأصوات، بينما يمتلك الإنسان عقلاً ينتج رموزاً ومعاني إبداعية.

إبداعية اللغة: اللغة عند ديكارت ليست مجرد تكرار، بل هي قدرة على صياغة تعابير جديدة وغير محدودة للاستجابة لوضعيات مختلفة، مما يعكس نشاط الفكر المستمر.

التوظيف الذكي للكلام: يشدد ديكارت على أن اللغة هي وسيلة تعبير حر عن الفكر، مما يتجاوز الوظيفة التواصلية السطحية (رشيد، 2020).

2.غوتفريد فلهلم ليبنيتز) 1646-1716(

ب- فكرة اللغة المثالية عند ليبنيتز

ركز ليبنيتز كأحد الفلاسفة الأوائل الذين شجعوا انتشار اللغات العامية ودراستها بدقة. كما سعى إلى بناء لغة مثالية تتجاوز نقائص اللغة الطبيعية، بحيث يكون لكل كلمة معنى محدد، وتكون الجمل صحيحة التركيب، وتتضمن قواعد استدلال دقيقة، ما أطلق عليه أحيانًا الحساب المنطقي.(Calculus)

وكان هدفه من هذه اللغة المثالية تحقيق:

العودة إلى اللغة الأصلية أو لغة آدم كلغة عالمية.

بناء لغة تواصل عالمي حديثة.

إنشاء لغة فلسفية أو علمية دقيقة خاصة بالعلماء. ولم ينكر ليبنيتز وجود اللغة الأصلية، لكنه رأى أن استرجاعها أمر مستحيل، لذلك ركز على ابتكار لغة مثالية مستقبلية تتسم بالدقة والوضوح.

لقد سعى ليبنيتز إلى بناء لغة رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية، بحيث يكون كل اسم دالًا على مسمى معين، ولكل كلمة معنى ومدلول محدد. وتشمل هذه اللغة دراسة التركيب الصحيح لمفردات اللغة في جمل سليمة البناء ووضع قواعد لهذا التركيب، بالإضافة إلى دراسة قواعد الاستدلال من صورة من الجمل إلى ما يلزم عنها من صور أخرى. ويُسمى هذا المشروع أحيانًا الحساب المنطقي .(Calculus) ويرجع ذلك إلى الأهمية الكبيرة التي يوليها ليبنيتز للمنطق والرياضيات، فقد كان يرى أن هذه اللغة المثالية ستكون

أشبه بحساب لها رموزها ومعادلاتها ودقتها وفقًا للنموذج الرياضي. فالنجاح الذي حققته الرياضيات جعله يعتمد عليها في تفكيره، لا سيما في مسألة اللغة المثالية، حيث ثمة شبه إجماع على أن قضايا الرياضيات البحتة وقواعد المنطق ليست احتمالية الصدق وإنما صادقة دائمًا، ويقين لا مجال فيه للشك. (شبرة، 2016)